الحَدِيثُ التّاسِعَ عَشَرَ

عَنْ أَبِي العَبَّاسِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاستَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ]، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»(١).

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: «احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، واعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، واعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»(٢).

هَذَا الحَدِيثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو لَهُ، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»(٣) يَعْنِي: التَّفْسِيرَ، فَكَانَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي العِلْمِ، وَفِي الفِقْهِ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٠٧)، وهناد في الزهد (١/ ٣٠٤)، وعبد بن حميد في مسنده (ص٢١٤)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٣)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦٦)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٣١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٨٣)، والحاكم في المستدرك وصححه (٣/ ٦١٥)، والطبراني في الكبير =

وَفِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ، حَتَّى لُقِّبَ بِتُرْجُمَانِ القُرْآنِ وَحَبْرِ الأُمَّةِ ﷺ، وَكَانَ طِفْلاً صَغِيرًا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، تُوُفِّيَ الرَّسُولُ ﷺ وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْ الحُلُمَ، وَمَعَ هَذَا أَعْطَاهُ اللهُ هَذَا العِلْمَ الغَزِيرَ، وَهَذَا الفَهْمَ العَظِيمَ بِبَرَكَةِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

قَالَ ﷺ: «**يَا غُلَامُ**» الغُلَامُ هُوَ الصَّغِيرُ، وَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى العِنَايَةِ بِالصِّغَارِ، وَتَوْجِيهِهِمْ، «**إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**» كَلِمَاتٍ: يَعْنِي يَسِيرَةً، لَكِنَّهَا كَلِمَاتٌ جَوَامِعُ؛ لِأَنَّ كَلِمَاتِ الرَّسُولِ ﷺ لَيْسَتْ كَكَلِمَاتِ غَيْرِهِ، وَهَذَا فِيهِ أَنَّ العِلْمَ يُؤْخَذُ شَيْئًا فَشَيْئًا، يُؤْخَذُ كَلِمَاتٍ يَسِيرَةً أَوَّلَ شَيْءٍ، ثُمَّ يَنْمُو وَيَزْدَادُ، وَلَيْسَ يُؤْخَذُ العِلْمُ دَفْعَةً وَاحِدَةً.

قَالَ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**» احْفَظِ اللهَ: يَعْنِي احْفَظْ دِينَهُ؛ احْفَظْ اللهَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، واحْفَظْ محَارِمَ اللَّـهِ بِاجْتِنَابِهَا، هَذَا حِفْظُ اللَّـهِ؛ لِأَنَّ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حِفْظٍ هُوَ الذِي يَحْفَظُ النَّاسَ، وَيَحْفَظُ الخَلْقَ وَالكَوْنَ، إِنَّمَا المُرَادُ أَنَّهُ يَحْفَظُ دِينَ اللَّـهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَوْلُهُ: «**احْفَظِ اللهَ**» هَذَا مِنْ قِبَلِ العَبْدِ «**يَحْفَظْكَ**» هَذَا مِنْ قِبَلِ اللَّـهِ، فَهُوَ جَزَاءٌ، وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فَإِذَا حَفِظْتَ اللهَ فَإِنَّ اللهَ يَحْفَظُكَ مِمَّا تَكْرَهُ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، فَهَذِهِ ثَمَرَةُ حِفْظِ اللَّـهِ وَحِفْظِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ**» هَذَا تَأْكِيدٌ، «**تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**» الأُولَى،

(١٠٥٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج شطره الأول البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧). وفي رواية للبخاري (٧٥) أن رسول الله ﷺ دعا له فقال: «**اللهم عَلِّمْهُ الكتاب**»، وفي رواية (٣٧٥٦): «**اللهم عَلِّمْهُ الحكمة**».

«يَحْفَظْكَ»، وَهَذِهِ «تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»، يَعْنِي: أَمَامَكَ، وَفِي رِوَايَةٍ: «تَجِدْهُ أَمَامَكَ» بِمَعْنَى أَنَّ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَيْضًا هُوَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ يُبَادِرُ إِلَى مَثُوبَةِ عِبَادِهِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلاً»(١)، بِمَعْنَى: أَنَّ اللهَ يُبَادِرُ سُبْحَانَهُ، يُبَادِرُ بالإِثَابَةِ لِمَنْ أَطَاعَهُ، فَحِفْظُ اللَّـهِ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ لَهُ فَائِدَتَانِ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ يَحْفَظُكَ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّكَ تَجِدُ اللهَ قَرِيبًا مِنْكَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**» إِذَا طَلَبْتَ شَيْئًا فَاطْلُبْهُ مِنَ الكَرِيمِ المَنَّانِ سُبْحَانَهُ الذِي عِنْدَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ، وَسُؤَالُ غَيْرِ اللَّـهِ عَلَى نَوْعَيْنِ:

الأَوَّلُ: سُؤَالٌ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ، كَالذِينَ يَدْعُونَ الأَمْوَاتَ وَيَسْتَنْجِدُونَ بِالموْتَى، وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِمْ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُمُ الحَوَائِجَ، فَيَأْتِي أَحَدُهُمْ عِنْدَ القَبْرِ، وَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَغِثْنِي، وَيَا فُلَانُ كَذَا وَكَذَا، يَا وَلِيَّ اللَّـهِ أَعْطِنِي كَذَا، وَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ.

الثَّانِي: سُؤَالُ النَّاسِ فِيمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَهَذَا جَائِزٌ، فَيَجُوزُ لَكَ أَنْ تَسْأَلَ إِذَا احْتَجْتَ، لَكِنَّ الأَوْلَى بِالعَبْدِ أَنْ يَتَعَفَّفَ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ فِي السُّؤَالِ مَذَلَّةً، وَنَقْصًا فِي التَّوْحِيدِ، فَاسْأَلِ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ الغَنِيَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

الكَرِيمَ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ»(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

قَالَ ﷺ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» الاسْتِعَانَةُ طَلَبُ العَوْنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، فَهِيَ نَوْعٌ مِنَ العِبَادَةِ، وَعَطْفُهَا عَلَى العِبَادَةِ مِنْ عَطْفِ الخَاصِّ عَلَى العَامِّ للاهْتِمَامِ بِهَا، وَإِلَّا فَهُوَ نَوْعٌ مِنَ العِبَادَةِ.

وَالاسْتِعَانَةُ مِثْلُ السُّؤَالِ: إِذَا كَانَتْ الاسْتِعَانَةُ بِالمَخْلُوقِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ فَهِيَ شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَإِنْ كَانَتِ الاسْتِعَانَةُ بِالمَخْلُوقِ فِي شَيْءٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَهَذَا يجُوزُ، لَكِنْ تَرْكُهُ أَحْسَنُ؛ لِأَنَّ فِيهِ ذِلَّةً، وَحَاجَةً إِلَى النَّاسِ، وَكَوْنُكَ تَسْتَغْنِي بِاللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ هَذَا أَفْضَلُ لَكَ.

قَالَ ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ» لَوِ اجْتَمَعَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ «عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ» أَيْ: قَدَّرَهُ وَكَتَبَهُ لَكَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، «وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ» فَهَذَا فِيهِ الإِيمَانُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ، وَأَنَّ النَّاسَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ أَوْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِمَا كَتَبَهُ اللهُ لَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضُرٍّ، فَهُمْ سَبَبٌ فَقَطْ، وَأَمَّا النَّافِعُ الضَّارُّ فَهُوَ اللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ إِذَا

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَمَرَهُمْ اللهُ نَفَعُوكَ، وَإِذَا لَمْ يَأْمُرُهُمْ اللهُ لَمْ يَنْفَعُوكَ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ضَرُّوكَ، فَعَلَيْكَ بِالإِيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفِ**» مَعْنَاهُ أَنَّ قَضَاءَ اللَّـهِ قُدِّرَ وانْتَهَى وَلَنْ يُغَيَّرَ، فَإِنَّ القَضَاءَ الذِي قَدَّرَهُ اللهُ لَا يُغَيَّرُ، قَوْلُهُ: «**رُفِعَتِ الأَقْلَامُ**» أَيْ: أَقْلَامُ كِتَابَةِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ(١)، «**وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» الصُّحُفُ التِي كُتِبَتْ فِيهَا المَقَادِيرُ، فَهَذَا فِيهِ الإِيمَانُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ، وَهُوَ وَصِيَّةٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ، فَإِذَا آمَنَ العَبْدُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ فَإِنَّهُ يَسْتَغْنِي بِاللَّـهِ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، وَعَنِ الاسْتِعَانَةِ بِالنَّاسِ فِي الغَالِبِ.

وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ قَالَ ﷺ: «**تَعَرَّفْ إِلَى اللَّـهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**» أَيْ: كُنْ قَرِيبًا مِنَ اللَّـهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ، فِي حَالِ رَخَائِكَ وَعَدَمِ حَاجَتِكَ، لَا تَلْتَفِتْ عَنِ اللَّـهِ جَلَّ وَعَلَا، كُنْ قَرِيبًا مِنَ اللَّـهِ بِطَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العَلَق: ٦، ٧]، فَإِذَا اسْتَغْنَى الإِنْسَانُ نَسِيَ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَظَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى اللَّـهِ، فَإِذَا مَرِضَ لجَأَ إِلَى اللَّـهِ، وَإِذَا صَحَّ وَشُفِيَ نَسِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَذِهِ حَالَةٌ سَيِّئَةٌ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الإِيمَانِ.

فَقَوْلُهُ: «**يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**» يَعْنِي: إِذَا وَقَعْتَ فِي خَطَرٍ وَفِي شِدَّةٍ وَأَنْتَ مُطِيعٌ لِلَّـهِ فِي حَالَةِ الرَّخَاءِ، فَإِنَّ اللهَ يُنْقِذُكَ بِأَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ، مِثْلَ حَدِيثِ

---

(١) انظر: أنواع الأقلام في شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٦٥).

أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ(١)، الذِينَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَةُ فِي الغَارِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الخُرُوجَ، لما كَانَتْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ سَابِقَةٌ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ، فَهَذَا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّـهِ بِبِرِّهِ بَوَالِدَيْهِ، وَهَذَا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّـهِ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ بِتَرْكِهِ الزِّنَا خَوْفًا مِنَ اللَّـهِ، وَهَذَا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّـهِ بِأَمَانَتِهِ وَحِفْظِهِ لِأُجْرَةِ الأَجِيرِ الَّذِي تَرَكَ أُجْرَتَهُ عِنْدَهُ وَذَهَبَ، حَفِظَهَا لَهُ وَنَمَّاهَا، فَلَمَّا جَاءَ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَاللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ يَقُولُ عَنْ أَصْحَابِ الجَنَّةِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ فِي الدُّنْيَا ﴿مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذَّارِيَات: ١٦-١٩]، قَبْلَ ذَلِكَ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ اللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فِي يُونُسَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ صَاحِبِ الحُوتِ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصَّافَّات: ١٤٣]، يَعْنِي: كَانَ مِنَ المُصَلِّينَ فِي حَالَةِ الرَّخَاءِ، ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الصَّافَّات:١٤٤]، أَنْجَاهُ اللهُ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ التِي أَسْبَقَهَا، فَالمُسْلِمُ يَعْرِفُ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، أَمَّا الكَافِرُ فَلَا يَعْرِفُ اللهَ إِلَّا فِي حَالَةِ الشِّدَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ﴾ [الإسْرَاء: ٦٧]، إِذَا وَقَعَ الكُفَّارُ فِي الخَطَرِ أَخْلَصُوا الدُّعَاءَ لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا المُؤْمِنُ فَهُوَ يَعْرِفُ اللهَ فِي كُلِّ الأَحْوَالِ، فِي حَالِ رَخَائِهِ وَفِي حَالِ شِدَّتِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٥)، (٢٢٧٢)، (٢٣٣٣)، (٣٤٦٥)، (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

قَالَ ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» الإِنْسَانُ يُبْتَلَى فِي هَذِهِ الحَيَاةِ، فَتَعْرِضُ لَهُ آلاَمٌ وَمَشَاقٌّ وَمَكَارِهُ، لَكِنْ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ؛ لِأَنَّ الشَّدَائِدَ تَزُولُ وَلَا تَدُومُ، فَيُقَابِلُ الشَّدَائِدَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا حَتَّى يُزِيلَهَا اللهُ عَنْهُ، وَلَا يجْزَعْ وَلَا يَسْخَطْ، أَمَّا إِذَا جَزَعَ الإِنْسَانُ وَسَخِطَ فَإِنَّ اللهَ يخْذُلُهُ.

قَالَ ﷺ: «وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ» كُلَّمَا اشْتَدَّ الكَرْبُ تَطَلَّعَ إِلَى الفَرَجِ، ذَلِكَ أَنَّ فَرَجَ اللَّـهِ قَرِيبٌ، وَاللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ يَقُولُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرْح: ٥، ٦]، وَقَالَ: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ٢١٤]، فَإِذَا اشْتَدَّ الأَمْرُ فَاعْلَمْ أَنَّ فَرَجَ اللَّـهِ قَرِيبٌ، وَلَا تَيْأَسْ وَلَا تَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـهِ، وَقَدْ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مَسْرُورًا فَرِحًا وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾»[1] العُسْرُ مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّهُ مُعَرَّفٌ بِالأَلِفِ وَاللَّامِ، فَهُوَ عُسْرٌ وَاحِدٌ، واليُسْرُ مُنكَّرٌ مُكَرَّرٌ مَرَّتَيْنِ يَقْتَضِي التِّكْرَارَ، فَكُلُّ عُسْرٍ مَعَهُ يُسْرَانِ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَلَّا يَضِيقَ بِهِ الأَمْرُ أَبَدًا، وَلَا يَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـهِ، وَأَنْ يَتَوَقَّعَ الخَيْرَ مِنَ اللَّـهِ دَائِمًا وَأَبَدًا، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا سَالِمٌ، بَلْ لَابُدَّ أَنْ يحْصُلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ البَلَاءِ، فَإِنَّ «أَشَدَّ النَّاسِ

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٣٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٠٦) من حديث الحسن رضي الله عنه، وروي موقوفاً على ابن مسعود، وابن عباس، وعمر، رضي الله عنهم. انظر: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (٤/ ٢٣٥).

بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ»[١]، فَعَلَيْهِ أَنْ يُقَابِلَ هَذِهِ الأُمُورَ بِالصَّبْرِ؛ فَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَالفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَالعُسْرُ يُصْبَرُ عَلَيْهِ بِانْتِظَارِ اليُسْرِ مِنَ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَتْرُكُ عَبْدَهُ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ يَبْتَلِيهِ لِيَظْهَرَ صَبْرُهُ وَتحَمُّلُهُ وَإِيمَانُهُ بِاللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ وَوَصَايَا عَظِيمَةٌ وَصَّى بِهَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ الأُمَّةَ بِوَاسِطَةِ هَذَا الغُلَامِ المُبَارَكِ.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٥٢)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والدارمي في سننه (٢٧٨٣)، وأحمد في المسند (١/ ١٧٢)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ١٦٠)، والبزار في مسنده (٣/ ٢٤٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٤٢) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وترجم البخاري في صحيحه (١٠/ ١١١ مع الفتح) قال: «باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل».